الملامح الصوتية للقلب المكاني

في اللغة العربية

إعداد

د / سامح كمال عبد المنعم إبراهيم

مدرس الدراسات اللغوية

كلية الآداب - جامعة دمنهور

١٤٤٢هـ = ٢٠٢١م

ض

الملامح الصوتية للقلب المكاني في اللغة العربية

د/ سامح كمال عبد المنعم إبراهيم
مدرس الدراسات اللغوية كلية الآداب – جامعة دمنهور
البريد الإلكتروني:
www. samehyossef2357@art. dmu. edu. Eg

ملخص البحث:

قمين بظاهر القلب المكاني أن تخصص لها دراسة صوتية خالصة تعنىٰ بالكشف عن جوانبها الصوتية، فهي من الظواهر اللغوية العامة الموجودة في مختلف اللغات **universal**، وقد اهتم بدراستها وبيان مفهومها علماء كثر، ومع ذلك لم تخصص لها – فيما أعلم– دراسة صوتية مستقلة شاملة، كما إنها – فيما أرىٰ– ظاهرة صوتية في المقام الأول؛ لأنها تقوم علىٰ تبادل الأصوات في الكلمة الواحدة، وهذا التبادل لا ينتج عنه تغير في المعنىٰ، ومن ثم فإن الأولىٰ بدراستها أن تكون صوتية لا صرفية، ولا ننكر أن لهذه الظاهرة أسبابا صوتية، وأخرىٰ غير صوتية، ولذلك فإن هذا البحث يسلط الضوء علىٰ تلك الأسباب الصوتية التي كانت سببا من أسباب حدوث القلب المكاني.

الكلمات المفتاحية: القلب المكاني، اللغة العربية، الأصوات، المقاطع الصوتية، صفات الحروف، التناسب الصوتي.

(Aphonetics and phonology Features of the Metathesis in Arabic Language)

Dr. Sameh Kamal Abdel Moneim
Linguistic Studies Teacher, Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Damanhur University, Egypt.
E- mail: www. samehyossef2357@art. dmu. edu. eg

Abstract:

You should assign Metathesis a complete phonetic study Exploring their phonological aspects , they are general linguistic phenomena found in different universals , which are studied and understood by many scientists , yet no language universals.

I know it has to do with a comprehensive independent acoustic study and , in my view , it is primarily an acoustic phenomenon; Because it is based on the exchange of sounds in one word and this exchange does not result in a change of meaning , the former is to be considered as sound rather than morphological , and it is not denied that this phenomenon has both acoustic and nonacoustic causes. This research therefore highlights the acoustic causes that are the causes of the Metathesis.

Keywords: Metathesis , Arabic language, Phonetics, Syllables , Nature of Letters , The acoustic proporation.

تقديم

القلب المكاني "ظاهرة لغوية واضحة في اللغة العربية وغيرها من اللغات ولا يصح إنكارها، ونحن نلحظها كل يوم في لغة الأطفال الذين لا يستطيعون نطق الألفاظ الكثيرة التي يسمعونها كل يوم، فيقلبون بعض حروفها مكان بعضها الآخر، ونلحظها أيضاً في لغة العامة"(١)؛ ففي اللهجات العامية المعاصرة نجد معلقة في ملعقة، واتلوىٰ في التوىٰ، وأنارب في أرانب، وجنزبيل في زنجبيل، وفحر في حفر، وجواز في زواج، وجوز في زوج، ومرسح في مسرح، وأهبل في أبله، ولهوس في هلوس، وفعص في فصع الرطبة، وصقف في فلان صفّق، ولخبط في خلبط، وبحلق المتطورة عن محلق في حملق، وخفس به الأرض في خسف، وعماويد في عواميد، وقزاز أو جزاز في زجاج، وسِدَّاج في سجاد(٢).

وقد شجعني على دراسة هذه الظاهرة قول أستاذنا الدكتور عبده الراجحي -رحمه الله-: " ومهما يكن من أمر فإن (القلب المكاني) ليس منكوراً باعتباره ظاهرة لغوية، غير أنه يحتاج إلىٰ دراسة منهجية غير تلك التي

(١) التطبيق الصرفي، د/ عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٨م، ص١٤. وانظر التطور اللغوي التاريخي، إبراهيم السامرائي، دار الأندلس، ط٢، ١٤٠١هـ، ص١٢٠.

(٢) جمع د/ رمضان عبد التواب عددا من الألفاظ المقلوبة في لهجة العامية المعاصرة، ومن بيئات مختلفة، وذلك في كتابه: التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، دار الرافعي، الرياض، ١٩٨١م، ص٥٩-٦٠.

تعرضه بها كتب الصرف العربية"(١)، وقول د. محمد العمري: "إن القلب المكاني ظاهرة صوتية في مفهوم الدرس اللغوي الحديث لا صرفية، ونحن بهذا القول نخرج القلب من بابه الصرفي إلىٰ باب جديد في الدراسات اللغوية المعاصرة؛ لأن تبادل المواقع بين أصوات الكلمة لا يؤدي إلىٰ تغير المعنىٰ... "(٢)، ومن ثم وكان القرار في تناول هذه الظاهرة اللغوية أن يكون من الجانب الصوتي؛ حيث تناولها أغلب الباحثين من الجانب الصرفي وفق المنهج الذي رسمه لهم علماء اللغة الأوائل، ومع ذلك فبعضها لا يعدم بعض الإشارات والتحليلات الصوتية. **ومن أهم هذه الدراسات ما يلي:**

- ظاهرة القلب المكاني في العربية- عللها وأدلتها وتفسيراتها وأنواعها، عبد الفتاح الحموز، مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار عمار، عمان، ١٩٨٦م.
- القلب المكاني في ضوء علم اللغة الحديث- دراسة تطبيقية في كتاب سبل الهدىٰ والرشاد في سيرة خير العباد للصالحي الشامي ت٩٤٢هـ، محمد مبارك الشاذلي، حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا، جامعة الأزهر، العدد١٨، الجزء السادس، ٢٠١٤م.
- القلب المكاني في البنية العربية- دراسة تحليلية في ضوء التراث النحوي والدرس اللغوي الحديث، مأمون عبد الحليم وجيه، مجلة كلية دار العلوم، جامعة الفيوم، العدد٢٤، ديسمبر ٢٠١٠م.

---

(١) التطبيق الصرفي، د/ عبده الراجحي، ص١٨.

(٢) القلب المكاني، محمد العمري، مجلة جامعة أم القرىٰ، العدد الثامن ١٩٩٣م، ص١٢٨.

- القلب المكاني في صوامت صيغ العربية، د/ محمد يحي سالم، مجلة الجامعة الإسلامية العراقية، العدد ١٦، ٢٠٠٥م.
- القلب المكاني في الموروث اللغوي، د. أحمد مطر العطية، مجلة علوم اللغة، دار غريب، القاهرة، العدد١، المجلد٢، ١٩٩٩م.
- القلب المكاني، محمد العمري، مجلة جامعة أم القرىٰ، العدد الثامن ١٩٩٣م.
- القلب المكانىٰ في اللغة العربية، حسين محمد شرف، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء ٤٢، ١٩٧٨م.
- ظاهرة القلب المكاني في العربية، محمد البدوي المختون، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد١١، ١٩٨١م.

وعلىٰ الرغم من كثرة الدراسات اللغوية السابقة حول ظاهرة القلب المكاني، فإنها تختلف تماما عن هذه الدراسة من حيث طريقة التناول والتحليل كما أشرت من قبل، كما أن هذه الكثرة من الدراسات وضعتني أمام تحد كبير للخروج بهذه الفكرة لموضوع البحث.

والقلب المكانىٰ في الكلمة ظاهرة يسلم بها الواقع اللغوي، يقول ابن فارس: "ومن سنن العرب القلب، وذلك يكون في الكلمة، ويكون في القصة؛ فأما الكلمة، فقولهم: (جذب وجبذ) و(بكل ولبك) وهو كثير... وأما الذىٰ في غير الكلمات، فقولهم... (كما كان الزناء فريضة الرجم)(١)، (وكأن لون

(١) جزء من بيت للنابغة الجعدي، ديوانه،، ت: واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م، ص٢٣٥.

أرضه سماؤه)[١]، و(كأن الصفا أوراكها) إنما أراد (كأن أوراكها الصفا)... إلخ"[٢]، وهذا البحث معني بالنوع الأول من القلب المكانىٰ الذىٰ يكون في الكلمة، وسنوضح ذلك فيما بعد في المعنىٰ الاصطلاحي.

وهذه الظاهرة ليست وقفا علىٰ اللغة العربية وحدها، بل عرفت في اللغات الأخرىٰ؛ منها السامية مثل: الحبشية، والعبرية، والسريانية، والآرامية[٣]، ويقع أيضا في اللغات الهندوأوربية، كالإنجليزية والأسبانية، والفرنسية، واليابانية[٤]، وعرفت كذلك في اللغة البرتغالية كما ذكر فندريس[٥]، أما في

(١) البيت لرؤبة بن العجاج، ديوانه، ت: وليم ابن الورد البروسي، دار ابن قتيبة، الكويت، د. ت، ص ٣.

(٢) الصاحبىٰ في فقه اللغة، ابن فارس، ت: السيد أحمد صقر، مطبعة عيسىٰ البابىٰ الحلبىٰ، القاهرة، ١٩٧٧م، ص٣٢٩.

(٣) انظر فقه اللغات السامية، كارل بروكلمان، ترجمة د/ رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض، ١٩٧٧م، ص٨١، والتطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر، ت: د/ رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م، ص٣٦.

And See: An Introduction to Comparative Grammar of the Semitic languages: Phonology and morphology، Moscati، Sabatino and others، Germany Otto Harrassowitz (1980)، 3rd edition، p. 63.

(4)see: Phonology ،Lass ،Roger ،Cambridge University Press (1984): p. 188 .

(٥) اللغة، فندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ١٩٥٠م، ص٩٤.

اللغة الإنجليزية فقد أشار جسبرسن إلي هذه الظاهرة وأورد أمثلة عليها من لغة الأطفال والكبار ضعيفي التعليم(١).

والقلب في اللغة: التحويل والتصريف(٢)، قال الخليل: "القلب تحويلك الشـيء عن وجهه، وكلام مقلوب، وقلبتَهُ فانقلب، وقَلّبتَهُ فَتَقَلّب، وقلبتُ فلانـًا عن وجهه أي صـرفته... "(٣). وفي اللسـان " القلب تحويل شـيء عن وجهه، قلبه يقلبه، وقد انقلب الشـيء وقلبه، حوله ظهرا لبطن، وتقلب الشيء ظهرا لبطن، كالحية تتقلب علىٰ الرمضاء"(٤).

(١) انظر مسطرة اللغوي، د/ إبراهيم أنيس، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٧٢م، ٢٩/ ٩.

(٢) القلب المكاني في معجم أكسفورد التاريخي للغة الإنجليزية: **Metathesis** تستخدم بمعنىٰ **Transpose** للدلالة علىٰ معان مختلفة منها الانتقال من مكان لآخر، والتحويل، وتغير موضع الشيء، كما تستخدم بمعنىٰ **Change** للدلالة علىٰ التغيير والتبديل والانتقال من مكان أو حالة أو شكل إلىٰ آخر.

See: The Oxford English Dictionary ،Simpson ،John Andrew ، Oxford University Press ،،1st Edition 1970 ،VI ،p388.

(٣) العين، الخليل بن أحمد،، ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، ٥/ ١٧١.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٤م، ١/ ٢٦٥.

وفي الاصطلاح القلب(١) المكاني عبارة عن تقديم بعض أصوات الكلمة علىٰ بعض(٢) لصعوبة تتابعها الأصلىٰ علىٰ الذوق اللغوي؛ فهو تقديم وتأخير يحدث في حروف بنية الكلمة، يسبب تغيرا في ترتيب حروفها، لتتولد كلمة جديدة متفرعة من الكلمة الأصلية، توافقها في المعنىٰ وتخالفها في

(١) أشار د/ أحمد مطر العطية إلى أن "مصطلح القلب يرد في جملة من العلوم، كعلوم الشريعة والبلاغة والنحو والصرف؛ ففي الشريعة يراد به ثبوت الحكم بدون علة، وفي البلاغة يعد من وجوه تحسين الكلام، وفي النحو يراد به التقديم والتأخير بين أجزاء الكلام، كتقديم المسند علىٰ المسند إليه، وغير ذلك لدواع بلاغية مذكورة في كتب النحو والبلاغة، أما في الصرف فيراد به أمران: أولهما القلب الصرفي، وهو ما يجري بين أحرف العلة والهمزة، كقلب الياء واوا أو العكس وغير ذلك، وهذا باب واسع في الصرف لا يخلو منه كتاب صرفي، وهو ما يدعىٰ الإعلال بالقلب، والآخر تقديم بعض أحرف الكلمة علىٰ بعض، وهو ما يسمىٰ بالقلب المكاني". (انظر: القلب المكاني في الموروث اللغوي، بحث بمجلة علوم اللغة، القاهرة، مجلد٢، العدد١، ١٩٩٩م، ص١٨١).

كما أشار معجم أكسفورد التاريخي للغة الإنجليزية إلىٰ أن مصطلح القلب يستخدم في مجالات علم البلاغة **Rhetoric**، وعلم النحو **Grammar**، وفي مجال علم الأمراض **Pathology**، وعلم الكيمياء **Chemistry**.

See: The Oxford English Dictionary، Simpson، John Andrew ، Oxford University Press ،،1st Edition 1970 ،VI ،p388 .

(٢) عرف جورج يول القلب المكاني **Metathesis** بأنه "تغيير صوتي يؤدي إلى عكس مكان الأصوات في الكلمة"

See: The Study of Language ،Yule، George، 3rd edition، Cambridge University Press، 2006، p. 245.

ترتيب حروف المبنىٰ(١)، ومن الممكن تعليله بنظرية السهولة والتيسير(٢)، ويكون بتغيير مكان الحرف في بنية الكلمة بالتقديم أو بالتأخير علىٰ أن يكون هذا الحرف حرفًا أصليًا(٣).

وبالقلب المكانىٰ قال كثير من العلماء علىٰ مر العصـــور، فهو من الظواهر اللغوية المعروفة قديما عند علماء اللغة العربية؛ حيث ألف فيه ابن

(١) انظر: شرح شافية ابن الحاجب، الرضي الإستراباذي، ت: محمد نور الحسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م، ١/ ٢١، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، ت: محمد أحمد جاد المولىٰ وآخرين، مكتبة التراث، القاهرة، ط٣، د. ت، ١/ ٤٧٦، وارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان، ت: رجب عثمان محمد، مطبعة المدني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨م، ١/ ٣٣٤، وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، ت: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦م، ٢/ ١٣٣٦، والمصطلح الصوتي في الدراسات العربية، عبد العزيز الصبغ، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨م، ص٢٦٧، والمجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، مكي درار، دار الأديب للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٤م، ص١١.

(٢) انظر: التطور اللغوي وقانون السهولة والتيسير، د/ رمضان عبدالتواب، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد، ١٩٧٥م، ٣٦/ ٢٠٢، والقلب المكانىٰ في اللغة العربية، د/ حسين محمد شرف، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٤٢/ ١٠٨.

(٣) من وظائف الصوت اللغوي، د/ أحمد كشك، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص٤١.

السكيت كتابا لم يصل إلينا(١)، وأشار إليه الخليل(٢)، وسيبويه(٣)، والمازني(٤) وابن جني(٥)، وصنف فيه بعض اللغويين أبوابا وفصولا من مؤلفاتهم، منهم: أبو عبيد القاسم بن سلام(٦)، وابن قتيبة(٧)، وابن دريد(٨)، وابن سيده(٩)، والسيوطي(١٠).

(١) ذكر ذلك ابن جني في المنصف، ٢/ ٩٥. والخصائص ١/ ٤٥١. والسيوطي في المزهر ١/ ٤٧٦.

(٢) انظر الكتاب، سيبويه، ت: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥م، ٤/ ٣٧٧.

(٣) انظر الكتاب، سيبويه ٣/ ٤٦٧.

(٤) انظر المنصف، ابن جني، ت: إبراهيم مصطفي وعبد الله أمين، مصطفي البابي الحلبي، ١٩٥٤م، ٢/ ٩٤، ١٠١، ١٠٤.

(٥) الخصائص، ابن جني، ت: محمد علي النجار، دار الهدىٰ، بيروت، ٢/ ٦٩- ٨٢.

(٦) الغريب المصنف، أبو عبيد القاسم بن سلام، ت: د/ محمد المختار العبيدي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، ودار سحنون للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٦م، ٣/ ٦٤٧- ٦٥٤.

(٧) أدب الكاتب، ابن قتيبة، ت: علي فاعور، وزارة الشئون الإسلامية، السعودية، ١٩٨٧م، ١/ ١٧٥- ١٧٦.

(٨) جمهرة اللغة، ابن دريد، ت: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م، ٣/ ٤٣١.

(٩) المخصص، ابن سيده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأميرية، د. ت، ١٤/ ٢٧- ٢٨.

(١٠) المزهر، السيوطي، ١/ ٤٧٦ – ٤٨١.

وقد ساق لنا هؤلاء العلماء أمثلة للقلب المكانىٰ لا تحصىٰ كثرة في العربية الفصحىٰ؛ حيث يقال: جبذ وجذب، وما أطيبه وما أيطبه، وربض ورضب... وصاعقة وصاقعة واضمحل وامضحل... إلخ.

كما توجد العديد من الكلمات المقلوبة مما عدها بعض اللغويين من ألحان العامة(١)، نحو: أرعني سمعك في أعرني، ورنجس في نرجس، ونورق في رونق، ودناية في ديانة، وتوفيض في تفويض، وإحجاف في إجحاف، ومأيوس في ميئوس(٢).

● كما اهتم بدراسة هذه الظاهرة من المحدثين أحمد فارس الشدياق(٣)، وعبد القادر المغربي(٤)، والأب أنستاس الكرملي(٥)،

(١) ذكر الكثير منها د/ رمضان عبدالتواب في مقاله: التطور اللغوي وقانون السهولة والتيسير، مجلة المجمع ٣٦/ ٢٠٤، وذكر من مؤلفات هؤلاء: التكملة فيما تلحن فيه العامة للجواليقي، تقويم اللسان لابن الجوزي، التنبيه علىٰ غلط الجاهل والنبية لابن كمال باشا، ودرة الغواص في أوهام الخواص للحريري... إلخ.

(٢) للمزيد من الأمثلة انظر التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، د/ رمضان عبد التواب، دار الرافعي، الرياض، ١٩٨١م، ص٥٩، وظاهرة القلب المكاني في العربية، عللها وأدلتها وتفسيراتها وأنواعها، عبد الفتاح الحموز، مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار عمار، عمان، ١٩٨٦م، ص ٧٤-٧٦.

(٣) انظر الجاسوس علىٰ القاموس، أحمد فارس الشدياق، مطبعة الجوانب، القسطنطينية، ١٢٩٩هـ، ص١٧٤.

(٤) انظر الاشتقاق والتعريب، عبد القادر المغربي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٧م، ص٤- ١٨.

(٥) نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها، الأب أنستاس الكرملي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص١٦ -١٨.

والطيب البكوش(١)، وألف فيها د/ عبد الفتاح الحموز كتابا كاملا(٢).

فالقلب المكاني – إذن- من الظواهر اللغوية العامة الموجودة في مختلف اللغات، وقد اهتم بدراستها وبيان مفهومها علماء كثر، كما إنها – فيما أرىٰ- ظاهرة صوتية في المقام الأول، تقوم علىٰ تبادل الأصوات في الكلمة الواحدة، وفي هذا البحث نقوم بدراستها دراسة صوتية خالصة للكشف عن ملامحها الصوتية المتمثلة في المبررات الصوتية التي كانت سببا من أسباب حدوث القلب المكاني.

والمنهج المتبع في البحث هو المنهج الوصفي التحليلي؛ الذي يصف الظاهرة من خلال الأمثلة المختلفة، ويحللها تحليلا صوتيا من خلال تتبع ما كتب عنها في كتب القدماء، وما ذكره العلماء المحدثون في دراستهم لها في ضوء علم اللغة الحديث، وقد اقتضت طبيعة هذا المنهج أن يقسم البحث – بعد هذه المقدمة- لأربعة مباحث:

المبحث الأول عنوانه: القلب المكاني للتخلص من الثقل، وهو يوضح أن القلب قد يخلّص من ثقل تتحاشاه اللغة وتفر منه.

أما المبحث الثاني فيتناول دور التقارب الصوتي بين حروف الكلمة في إضفاء مشروعية علىٰ القلب المكاني فيها.

والمبحث الثالث بعنوان: القلب المكاني ونسب شيوع السلاسل الصوتية في اللغة.

---

(١) التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، الطيب البكوش، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس، ط٢، ١٩٨٧م، ص ٧٣.

(٢) ظاهرة القلب المكاني في العربية، عبد الفتاح الحموز.

والمبحث الرابع والأخير عن القلب المكاني والمقاطع الصوتية للكلمة، ويكشف عن أن ثبات المقاطع الصوتية للكلمة قبل القلب وبعده ساعد علىٰ عدم الشعور بالفرق الكبير بين البنيتين صوتيًا، مما ساعد علىٰ عملية القلب، وسهلها علىٰ لسان المتكلم.

ومما سبق يتجلى الهدف من هذه الدراسة، وهو تناول المبررات الصوتية المباشرة التي حفزت القلب المكاني في بنية العديد من الكلمات وزادت من مشروعيته في بعض الألفاظ؛ حيث إن اللغة كيان واحد، ومن الطبيعي أن تؤثر القوانين الصوتية في بنية الكلمات أو العكس، وهذا ما سنتناوله بالتفصيل فيما يلي من مباحث.

المبحث الأول:

القلب المكاني للتخلص من الثقل

من ثوابت اللغة العربية في النطق الجنوح إلىٰ الخفة والسهولة والابتعاد عن الصعوبة والثقل، فكل ما استخفته العرب نطقت به، وكل استثقلته نبذته وتركته، أو تخلصت مما هو ثقيل بالتصرف فيه وتغييره أو تعديله بما يتوافق مع الذوق العربي الأصيل الذي يميل دائما إلىٰ التخفيف، وسلكت العرب في سبيل ذلك مسالك عدة، منها الإبدال، والإعلال، والإدغام، والحذف، والقلب الإعلالي، والقلب المكاني، ليتحقق الانسجام والائتلاف بين أصوات الأبنية(١).

ومن الأسباب الأساسية في حدوث ظاهرة القلب المكاني ميل المتكلم إلىٰ التقليل من الجهد العضلي المبذول أثناء عملية النطق بالكلمة، بهدف تحقيق الخفة والسهولة في النطق، مثله في ذلك مثل ظاهر تقريب الأصوات بعضها من بعض بالتماثل أوالتخالف أوالإدغام أوالإمالة أوالإتباع، يقول د. أحمد مختار عمر: "وقد يقع القلب بغية التيسير وتحقيق نوع من الانسجام الصوتي"(٢)، ويقول د. رمضان عبدالتواب: "والقلب المكاني عبارة عن تقديم بعض أصوات الكلمة علىٰ بعض لصعوبة تتابعها الأصلي علىٰ الذوق

(١) انظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة نهضة مصر، د. ت، د. ط، ص١٦٥ وما بعدها.

(٢) دراسة الصوت اللغوي، د/ أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٦م، ص٣٣٦.

اللغوي، وهي ظاهرة يمكن تعليلها بنظرية السهولة والتيسير كذلك"(١)، ويذهب أحد الباحثين إلىٰ أن القلب المكاني "يحدث اعتباطا دون أي قاعدة يسير عليها سوىٰ الرغبة في تخفيف اللفظ، فالناطق بفطرته يميل إلىٰ السهولة في الكلام"(٢)، فالمتكلم يميل إلىٰ ابتغاء الخفة في النطق، والتخلص من ثقل الكلام، ومن ثم يتصرف في أبنية ألفاظه بعدة طرق، منها القلب المكاني لبعض الأصوات في حروف الكلمة الواحدة.

يلجأ العربي – إذن– إلىٰ القلب المكاني في بعض الكلمات؛ لأن هذا القلب قد يخلّص من ثقل تتحاشاه اللغة وتفر منه(٣)، ونعرض من ذلك الأمثلة التالية:

☒ **كلمة (أشياء)**؛ حيث وقع القلب فيها ليخفف أصل الكلمة (شيئاء) من ثقل اجتماع همزتين بينهما ألف وهىٰ حاجز غير حصين(٤)، وفي

(١) التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، د/ رمضان عبد التواب، ص٥٧.

(٢) الدراسات اللغوية عند العرب، محمد حسين آل ياسين، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص٤٠٦.

(٣) عرف براتكو القلب المكاني بأنه "نقل مكاني لصامتين متجاورين لتخفيف النطق" Basics of biblical Hebrew Grammar، Pratico، Gary and Van Pelt، Miles، Michigan، Zondervan، 2nd edition، 2007، p. 390.

(٤) انظر القلب المكانىٰ في اللغة العربية، د/ حسين محمد شرف، مجلة المجمع ٤٢/ ١١٠، وللدكتور أحمد كشك رأىٰ وجيه حول عدم تنوين (أشياء) في قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾ [سورة المائدة:١٠١]، لا لأنها ممنوعة من الصرف، ولكن لتوالىٰ المقاطع المكروهة وتوارد الهمزتين، وليس بها قلب، (انظر من وظائف الصوت اللغوي ٤٦ – ٤٧).

توضيح ذلك قال سيبويه: "وكان أصل(أشياء): (شيئاء)، فكرهوا منها مع الهمزة مثل ما كره من الواو، وكذلك (أشاوىٰ) أصلها: (أشايا) كأنك جمعت عليها (إشاوة)، وكأن أصل (إشاوة): (شيئاء) ولكنهم قلبوا الهمزة قبل الشين وأبدلوا مكان الياء الواو"(١)، ونقل الرضي عن الخليل وسيبويه أن وزنها (لفعاء) لأن أصلها(شيئاء) فقدمت اللام علىٰ الفاء كراهية اجتماع همزتين بينهما حاجز ضعيف (الألف) مع كثرة استعمال هذه اللفظة، ويرىٰ الكسائي: أن أشياء جمع (شيء) أي علىٰ زنة (أفعال)، كبيت وأبيات ومُنع صرفه توهما كحمراء(٢).

☒ **وأيضًا (جاءٍ، وشاءٍ، وساءٍ)** اسم فاعل من (جاء، وشاء، وساء) قال فيه الخليل بتقديم الهمزة التىٰ هىٰ لام الفعل علىٰ العين، والقلب يخلص من اجتماع همزتين ثقيلتين في الطرف عند صوغ اسم الفاعل، ووزن اسم الفاعل علىٰ قوله (فالٍ) بحذف العين المؤخرة من القلب.

والقلب المكانىٰ في الفعل الثلاثىٰ الأجوف مهموز اللام يراه الخليل مطردًا مع اسم الفاعل(٣)، يقول المبرد: "اعلم أنك إذا بنيت من شيء من هذه الأفعال اسمًا علىٰ فاعل اعتلّ موضع العين منه فهمز علىٰ ما وصفت لك في (قائل وبائع)، فإذا همزت العين التقت هي واللام التي هي همزة، فلزم الهمزة

(١) الكتاب، سيبويه، ٣/ ٥٦٤

(٢) انظر شرح الشافية، رضي الدين الإستراباذي، ت: محمد نور الحسن، مطبعة حجازي، القاهرة، د. ت، ١/ ٢٩.

(٣) انظر المقتضب، المبرد، ت: د/ محمد عبدالخالق عضيمة، المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية، القاهرة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ١/ ٢٥٣ - ٢٥٤.

التي هي لام القلب إلىٰ الياء لكسرة ما قبلها... فهذا قول النحويين أجمعين إلا الخليل بن أحمد فإنه كان يقول: قد رأيتهم يفرون إلىٰ القلب فيما كانت فيه همزة واحدة استثقالاً لها، فيقدمون لام الفعل، ويؤخرون الهمزة التي هي عين فيما لايهمز فيه غيرها ليصير العين طرفًا فيكون ياء وذلك قوله: لاثٍ به"(١).

وحقيقة الأمر أن الميل إلىٰ التخفيف في هذه الألفاظ يعود إلىٰ أن النطق بهمزتين في طرف الكلمة أمرٌ مستكره ومستثقل في كلام العرب، ولذلك يلجأ إلىٰ التخلص من هذا الثقل بتخفيف إحدىٰ الهمزتين بإبدالها ألفًا أو واواً أو ياء، أو بحذفها وإسقاطها، أو بنطقها بين بين، أما في اسم الفاعل من الأجوف المهموز اللام، فإنّ التخفيف يكون بالقلب المكاني، إذ تقدمت الهمزة علىٰ الياء في (جائي وشائي)، وقد تحذف الياء وتصير جاءٍ وشاءٍ(٢).

وقد أكد ذلك العكبري حين ذكر أن المنقوص إذا كان " منصرفا حذفت ياؤه الساكنة وبقي التنوين لأنهما ساكنان، والجمع بينهما متعذر، وتحريك الياء لا يجوز لوجهين: أحدهما: الثقل المهروب منه، والثاني: أنه تحريك أول الساكنين في كلمة واحدة وذلك لا يجوز... وتحريك التنوين يثقله، فيتعين الحذف، وحذف الياء أولىٰ لثلاثة أوجه: أحدهما: أن حذف أول الساكنين في كلمة واحدة هو القياس، نحو: لم يكن، ولم يبع، لا سيما، والياء

(١) المقتضب، المبرد، ١/ ١١٥، ٢٥٣ – ٢٥٤.

(٢) انظر الكتاب ٣/ ٣٧٧، والمنصف ٢/ ٥٣، وشرح شافية ابن الحاجب، الرضي الإستراباذي ١/ ٢٤.

من حروف العلة، والنون حرف صحيح. والثاني: أن الياء علىٰ حذفها دليل. والثالث: أن التنوين دخل لمعنىٰ فحذفه يخل به بخلاف الياء"(١).

فانطلاقا من استكراه اجتماع همزتين في آخر الكلمة وثقله في اللفظ، لجأ المتكلم إلىٰ القلب المكاني، ولتوضيح المراحل التي مرت بها الكلمات السابقة نقول: إن الواو والياء تقلبان همزة إذا وقعتا عينا في اسم الفاعل، كما في (باع- بائع، ونام- نائم)(٢)، وكذلك الحال في (جاء، وساء، وشاء)، ولكن التلفظ فيهم بـ(جائئ، وسائئ، وشائئ) مستثقل لاجتماع همزتين في الطرف، فقلبت الهمزة الأولىٰ إلىٰ ياء، ثم حدث القلب المكاني لأن (جاءٍ، وساءٍ، وشاءٍ) التي عُوض فيها عن (الياء) بالتنوين، أيسر في النطق من(جايئ، وسايئ، وشايئ).

ومثل ذلك يقال في الجمع المكسر لمثل هذه الأسماء، فنقول في جمع (شاءٍ وجاءٍ): (شواءٍ وجَوَاءٍ) والأصل فيها قبل القلب المكاني والحذف (شوائيء وجوائيء) فحدث القلب ولزم الهمزة الثانية التغيير والإبدال إلىٰ ياء لانكسار ما قبلها فصارا (شوائي، وجوائي) علىٰ زنة (فوالِع)، ثم اعتلا اعتلال قاضٍ، بحذف آخرهما فصار وزنهما علىٰ (فوَالٍ)(٣).

☒ وفي (**الشاكي والشواعي**) يفرُّ المتكلم إلىٰ القلب بتقديم اللام وتأخير

(١) اللباب في علل البناء والإعراب، العكبري، ت: غازي طليمات، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥م، ص٨٢-٨٣.

(٢) انظر الممتع في التصريف، ابن عصفور، ت: فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، ١٩٧٠م، ١/ ٣٢٧.

(٣) انظر الكتاب، سيبويه، ٢/ ٥٨، ٤/ ٣٧٧، والمنصف، ابن جني، ٢/ ٥٣.

الهمزة التي هي عين الكلمة في نظر القدامىٰ ليسهل تخفيفها بقلبها ياء، ابتغاء الخفة في النطق(١).

☒ **ومن المقلوب قولهم: (أينُق) في جمع (ناقة)**، وكان أصل هذه (أنوق)، والعلة فيه استثقال الضمة علىٰ الواو(٢)، حيث ذهب سيبويه إلىٰ أن الأصل في الجمع أن تجمع علىٰ (أنوق) بإبدال الألف عين الكلمة واواً، إلا أن العرب في جمعها قالوا: أينق فابدلوا الياء مكان الواو وقلبوا(٣).

☒ **ومن ذلك (قسىّ) مقلوب (قووس)**، والقلب يخلص من ثقل واوين وضمتين في الأصل (قووس)(٤)، وفي تعليل القلب في (قِسَيّ) قال ابن السراج: "ونقول في (قِسَيّ) أصله (فُعول)، وكان حقه (قُوُوس)، ولكن قدموا اللام علىٰ العين وصيره (فُلُوع)(٥).

☒ **وكذلك كلمة (خطيئة)** وهي علىٰ زنة (فعيلة) تجمع علىٰ "فعائل" أي "خطايء"، عندئذ تقلب الياء همزة مما يؤدي إلىٰ اجتماع همزتين في آخر الكلمة (خطاءء)، وهذا مستثقل في اللفظ مستكره في النطق، ولهذا عد

(١) دراسة الصوت اللغوي، د/ أحمد مختار عمر، ص٣٣٦.

(٢) السابق نفسه ١/ ١٦٨.

(٣) الكتاب، سيبويه، ٣/ ٥٦٤، ٤/ ٣٨٠.

(٤) انظر السابق نفسه ٤/ ٣٨٠.

(٥) الأصول في النحو،، ابن السراج، ت: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٩م، ٢/ ٣٣٦.

الخليل القلب في مثل هذه الكلمات قياسا(١)؛ حيث تتعرض (خطايء) للقلب المكاني لمنع تولد (خطاءء)، علىٰ زنة (فعائل)، ونتيجة للقلب المكاني بين ياء الصيغة ولام الكلمة تتحول (خطايء) إلىٰ (خطاءي)، علىٰ زنة "فعالي"، وبعد ذلك تخضع الكلمة لتغيير آخر يؤدي إلىٰ حذف كسرة الهمزة واستبدالها بالفتحة رغبة في التخفيف(٢)، فتتحول الكلمة إلىٰ (خطاءَيُ)، ومن ثم تقلب الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها، فتصبح (خطاءا)، وعندئذ تقلب الهمزة ياء لمنع الثقل الناشئ عن توالي شبه ثلاث ألفات في الكلمة، لأن الهمز شبيهة بالألف، فيصبح الجمع (خطايا) علىٰ زنة (فعالىٰ)(٣).

والميل إلى التخفيف يدفع الأطفال والعوام إلى القلب المكاني عند نطقهم لبعض الألفاظ؛ ولذلك نلمسُ شيوع هذه الظاهرة في اللهجات العامية المعاصرة في بلادنا العربية، فالعراقي يقول: (زميج) في (مزيج) للخليط من التراب والسماد، و(نعلة) في (لعنة)، و(دحقَ) في (حَدَقَ) في لهجة الموصل، والسوري يقول: (كبزرة) في (كزبرة)، (رعبون) في

(١) انظر الكتاب، سيبويه، ٢/ ١٢٩، ٢٧٨، ٢٧٩، وشرح الشافية، رضي الدين الأستراباذي، ١/ ٢٤، ٢٥.

(٢) شرح الأشموني علىٰ ألفية ابن مالك، الأشموني، تحقيق طه عبد الرءوف، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ٤/ ٤١٨.

(٣) انظر القلب المكاني في البنية العربية- دراسة تحليلية في ضوء التراث النحوي والدرس اللغوي الحديث، مأمون عبد الحليم وجيه، مجلة كلية دار العلوم، جامعة الفيوم، العدد٢٤، ديسمبر ٢٠١٠م، ص١٠.

(عربون) والســوداني يقول: (عنجة) في (نعجة)، و(داير) في (رايد) بمعنىٰ (مريد) والمغربي يقول: (نَوْل) في (لَون)، و(سِدّاج) في (سَجّاد)، والمصري يقول: (فَحرَ) في (حفرَ) و(أنارب) في (أرانب) و(جواز) في (زواج) و(أهبل) في (أبله)(١).

وقد فسر بعض العلماء ذلك بالخطأ في النطق، يقول د. أحمد مختار عمر: "وقد يكون سبب القلب المكاني في الأمثلة آنفة الذكر الخطأ في النطق والسمع، إذ يلاحظ أن أكثر الأمثلة المقلوبة إما أن تكون ثقيلة في النطق يفر منها العوام والأطفال إلىٰ صيغة أخف وأيسر بالقلب المكاني، وإما أنها كلمات دخيلة علىٰ العربية ينفر منها الذوق العربي، كقولهم: (مرسح) في (مسرح)، و(قماويس) في (قواميس) و(هلتر) في (هتلر)"(٢).

وأكد ذلك الأمر بعض الدارسين حيث ذهبوا إلىٰ تفسير حدوث هذه الظاهرة بأنها ناجمة – في بعض الكلمات– عن وقوع أخطاء في نطقها علىٰ ألسنة بعض أبناء اللغة، ثم استُمْلِحتْ هذه الأخطاء واستُعمِلتْ لفترة طويلة حتىٰ اكتسبت مشروعية في الاستخدام، وارتقت إلىٰ منزلة الكلمات الصحيحة الفصيحة بسبب كثرة الاستعمال(٣).

(١) انظر التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ٥٩–٦٠.

(٢) انظر دراسة الصوت اللغوي، د/ أحمد مختار عمر، ص٣٣٦، واللهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، تونس، ٢/ ٦٥٥.

(3)See: Longman dictionary of language teaching & applied linguistics ،Richards ،J. and Schmidt ،R. (2002): p. 329 .

وعلىٰ الرغم من ذلك فإننا لا نعدم علة التخفيف والتيسير في هذه الألفاظ؛ وذلك لأن التعثر في النطق هو – في حقيقته- تجنب للصعب وميل إلىٰ السهل، أو قل: إن آلة النطق كيفت الألفاظ تبعا لإمكانياتها وقدراتها، فاستعاضت عن الصعب باليسير. يقول د. إبراهيم نجا: "والذي يدعو إلىٰ وجوده- يعني القلب المكاني- الميل إلىٰ تخفيف اللفظ... وهذا ما نلمسه في لهجاتنا العامية"(١)، ويستدل د. أحمد علم الدين الجندي علىٰ ذلك بمثال عامي، حيث يقول: "يرجع سبب القلب إلىٰ الميل إلىٰ التخفيف اللفظي، فبعضنا يقول: (مفلعص)، وبعضنا قد يرىٰ في ذلك صعوبة فينطقها (مفعلص)"(٢).

ويقول د. عبد الفتاح الحموز: "ولعل ما يمكن حمله علىٰ توخي السهولة في نطق بعض الأصوات العربية ما نلحظه من قلب مكاني في بعض الألفاظ العربية في لغة بعض الأطفال، كقولهم: (قعل) في (عقل)، و(إجعاز) في

وانظر: دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٧٠م، ص٢٠، وأبحاث في اللغة، داوود عبده، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٣م، ص١٣١، وظاهرة القلب المكاني في العربية، محمد البدوي المختون، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد١١، ١٩٨١م، ص٣٠١.

(١) اللهجات العربية، إبراهيم محمد نجا، مطابع سجل العرب، ص١٠٤. وانظر دراسات في علم أصوات العربية، داود عبده، دار جرير للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م، ص٩٢.

(٢) اللهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، تونس، ٢/ ٦٥٤.

(إعجاز)، فقدموا (القاف) الحرف اللهوي علىٰ (العين) الحرف الحلقي في الكلمة الأولىٰ لأنه أيسر في النطق في صدر الكلمة من (العين)، والقول نفسه في الكلمة الأخرىٰ؛ فـ(الجيم) حرف شجري، و(العين) حرف حلقي، فتتابع (الهمزة، والعين) حرفي الحلق مستثقل عندهم، ولذلك فصلوا بينهما بالحرف الشجري"(١). "ولسنا ننكر أن كثيرا من لحن العامة يمكن إخضاعه لهذا القانون، كقولهم: (أطعيني) في (أعطيني) للتخلص من صعوبة حرفي الحلق(العين والهمزة)، وكذلك قولهم: (هُص) في (صه)، ويتراءىٰ لنا ذلك بيننا في قول الأم لابنها: هص لإسكاته... ولعل ما يعزز تأخير صوت الصفير قول العامة: (فعص) في (فصع)، وقولهم (خفس الأرض) في (خسفها)"(٢).

ويعلل أحد الباحثين لذلك الأمر بقوله: "ولعلي لا أجاوز الحقيقة إذا ما زعمت أن هذا السبب يرد إلىٰ باب السهولة والتيسير وتجنب الصعوبة، وذلك أن أكثر هذه الكلمات المقلوبة إما إنها كلمات أجنبية دخلت العربية مثل: (كهرباء، وفلسفة)، وإما إنها كلمات عربية صعبة اللفظ، وفي كلتا الحالتين فالمتكلم الذي لم تصقل لغته كالعوام والأطفال فإنه يقع في كلامه ذلك القلب طلبا للخفة وهربا من الثقل"(٣).

---

(١) ظاهرة القلب المكاني في العربية، عبد الفتاح الحموز، ص٤٣.

(٢) السابق نفسه ص٤٩.

(٣) القلب المكاني في الموروث اللغوي، د. أحمد مطر العطية، مجلة علوم اللغة، دار غريب، القاهرة، العدد١، المجلد٢، ١٩٩٩م، ص٢٠٨.

ومن أمثلة القلب المكاني التي عللها العلماء بالميل إلى السهولة والتيسير ما ذكره برجشتراسر في صيغة (افتعل) من أنها مقلوب (اتفعل)(١)؛ يقول: "والافتعال تاؤه في العربية دائما تالية لفاء الفعل، وكانت في الأصل سابقة لها، كما هي في الآرامية نحو: **(etkri)** أي (اقترأ) يعني (قُرِئ)، ولكنها كانت تؤخر بعد فاء الفعل إذا كانت واحدا من حروف الصفير نحو: **(estma)** أي (استمع) يعني: (سُمِعَ)، وعلىٰ هذا القياس أخرت العرب التاء في سائر الأفعال أيضا"(٢).

وأكد هذا الكلام هنري فليش، فقال: "افتعل يفتعل" وهي في صورتها الأولىٰ كانت تحتوي علىٰ تاء(t) علىٰ الوجه: يَتَفَعِل.. يَتْفَعِل، فإذا حدث أن كان الصامت الأول من الأصل الثلاثي صوت صفير أو صوتا (متفشيا) وهو (الشين) نتج من ذلك تتابع ثقيل في العربية، وذلك كأن نأخذ الصيغة الأولىٰ الفعل (سند)، فالصيغة منه (يتسند)، وقد قلبت اللغة الصوامت علىٰ الوجه التالي: يَسْتَنِدُ إلىٰ. فمن هذه الأفعال الكثيرة فشت ظاهرة القلب المكاني إلىٰ الأفعال الأخرىٰ التي تحتوي علىٰ هذا النوع من الأصوات في صوامتها الأصلية الأولىٰ"(٣).

---

(١) للمزيد انظر اللغة العبرية- تطبيقات في المنهج المقارن، د. محمد صالح توفيق، دار الهاني للطباعة والنشر، د. ت؛ حيث خصص لهذا الأمر فصلا كاملا ص٦٠-١١٧.

(٢) التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر، ت: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٩٢.

(٣) العربية الفصحىٰ، هنري فليش، ت: د. عبد الصبور شاهين، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ص١٤٦.

سبب القلب –إذن– مجاورة (التاء) الانفجارية لأصوات الصفير (السين والشين) في مثل: (اتسند واتشد) وأضرابهما، وتتابع الانفجاري والصفيري مستثقل في العربية(١)، ومن ثم جرىٰ هذا القلب علىٰ باقي الأفعال التي من البنية نفسها.

(١) انظر ظاهرة القلب المكاني في العربية، عبد الفتاح الحموز، ص٤٠.

المبحث الثاني

التقارب الصوتي بين الحروف في الكلمة المقلوبة

ويتمثل في التقارب الصوتىٰ بين الحروف في بنية بعض الألفاظ التي حدث فيها قلب مكاني، بحيث يسمح هذا التقارب في الصفات أو المخارج باستبدالها أو نقلها من مكانها إلىٰ مكان آخر. "فلو حاولنا تفسير ميل الأصوات إلىٰ تبادل مواقعها في السلسلة الكلامية اعتماداً علىٰ هذه النظرية من خلال تفسير حدوثها باستعمال ثلاثة معايير: التقارب المخرجي، والتقارب في الصفات الصوتية، ونظرية الصوت الأقوىٰ، فإننا سنحصل علىٰ نتائج مقبولة في تفسير وجود هذه الظاهرة في الكثير من الألفاظ المقلوبة"(١)، وانطلاقا من ذلك نفسر القلب المكاني من خلال ما يلي:

أولا: مخارج الحروف:

تلعب مخارج الحروف – في بعض الكلمات– دورا كبيرا في استساغة عملية القلب المكاني لبعض حروفها؛ فتقارب المخارج أو تباعدها لها أثرها الكبير علىٰ المتكلم عند النطق ببعض الكلمات التي حدث فيها القلب:

ففي كلمتى (مسرح ومرسح) تقارب شديد بين مخرجي السين والراء؛ حيث يتكون كل منهما في وسط الحنك(٢)، فتخرج الراء من طرف اللسان

(١) انظر القلب المكاني في صوامت صيغ العربية، د/ محمد يحي سالم، مجلة الجامعة الإسلامية العراقية، العدد ١٦، ٢٠٠٥م، ص ٢٠٥.

(٢) انظر الصرف وعلم الأصوات، د/ ديزره سقال، دار الصداقة العربية، بيروت، ١٩٩٦م، ص١٥٥.

بينه وبين ما فويق الثنايا، وتخرج السين من طرف اللسان ومما بين الثنايا(١). وهذا التقارب في المخرج سنح لأن يحل كل منهما محل الآخر دون الشعور بفارق كبير بين الكلمتين.

وفي **كلمتى (أنارب وأرانب)**– كذلك – تقارب شـــديد بين مخرجي الراء والنون؛ لأن مخرج النون من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا، ومخرج الراء من مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه(٢).

أما كلمتى (معلقة وملعقة) فتقارب مخرجىْ العين والقاف مهد للقلب في الكلمة؛ لأن مخرج العين من وســط الحلق(٣)، وهو قريب من مخرج القاف الذي ينتج من اتصـــال أدنىٰ الحلق (بما في ذلك اللهاة) بأقصـــىٰ اللسان(٤).

كما فضل المتكلم القلب في (طسم) المقلوب عن (طمسَ)؛ حتىٰ لا يفصل بين الطاء والسين المتقاربين في المخرج بالميم الشفوية، فمخرجي الطاء والسين متقاربان جدا؛ حيث تخرج الطاء من التقاء طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، وهو نفسه مخرج السين، غير أن مخرج السين أعلىٰ قليلا(٥).

---

(١) سر صناعة الإعراب، ابن جني، ت: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ١٩٨٥م، ١/ ٤٧.

(٢) السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(٣) انظر علم الأصوات، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٣٠٤.

(٤) انظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة نهضة مصر، د. ت، ص٧٤.

(٥) انظر السابق نفسه، الطاء ص٥٣، السين ص٦٨.

كما أن القلب المكاني يحدث لتقصير المسافات في رأي أحد الباحثين(١)، ويعني بذلك أن القلب قد أدىٰ إلىٰ جعل آلية نطق أصوات الكلمة تسير في اتجاه واحد، ومثَّل لذلك بما حدث في (الصاعقة) و(الصاقعة)؛ فأصول هذه الكلمة هي (الصاد والعين والقاف)، وآلية النطق فيها قبل القلب تبدأ (بالصاد) ومخرجه من بين طرف اللسان وأصل الثنايا (أي في أعلىٰ الجهاز النطقي)، ثم بعد (الصاد) (العين) ومخرجه من وسط الحلق (وهذا المخرج في أسفل الجهاز النطقي)، ثم بعد ذلك تتجه آلية النطق إلىٰ الأعلىٰ حيث مخرج (القاف)، وهو من أقصىٰ اللسان وما فوقه من الحنك الأعلىٰ. أما بعد القلب فتبدأ عملية النطق في (صقع) بـ(الصاد)، ثم تسير إلىٰ الأسفل نحو مخرج (القاف)، ثم بعد ذلك تتجه إلىٰ الأسفل نحو مخرج (العين)، وفي ذلك سهولة في النطق.

وقد رسم الباحث رسوما توضيحية لأمثلة من القلب المكاني، نحو، (أطيب، وأيطب)، و(نبز، ونزب)، و(صبر، وبصر)، و(طمله، ومطله)، و(قتن، وقنت)، و(ثكم، وكثم)، و(لحج، ولجح)، و(قبعة، وبقعة).

وكذلك فإن القلب المكاني يحدث لتقليل عدد اتجاهات آلية النطق(٢)؛ حيث يوجد أكثر من اتجاه في آلية النطق لبعض الكلمات، ومن ثم يقوم الجهاز النطقي بتقليل عدد هذه الاتجاهات، وفي هذا مرونة وقلة مجهود

(١) انظر القلب المكاني، د/ محمد العمري، مجلة جامعة أم القرىٰ، العدد الثامن، ١٩٩٣م، ص١٢٩.

(٢) القلب المكاني، د/ محمد العمري، مجلة جامعة أم القرىٰ، ص١٣٥.

بالنسبة للنطق، ومن الأمثلة علىٰ ذلك (شهبرة، وشهربة)؛ فالصورة الأولىٰ تسير آلية النطق فيها ابتداء من (الشين) من وسط اللسان وما فوقه من الحنك الأعلىٰ، ثم يتجه النطق إلىٰ الأسفل إلىٰ أقصىٰ الحلق (الحنجرة) لنطق (الهاء)، ثم العودة إلىٰ الأعلىٰ حيث مخرج (الباء) أدنىٰ مخرج في الفم، ثم الرجوع إلىٰ الوراء لنطق (الراء)، أما (تاء التأنيث) فإن لها حالتين: الأولىٰ في حالة الوصل حيث تنطق (تاء) والأخرىٰ في حالة الوقف حيث تنطق (هاء)؛ فإن نطقت (هاء) فإن ذلك سيعود بآلية النطق إلىٰ أقصىٰ مخرج في الجهاز النطقي، وإن نطقت (تاء) فإن ذلك يعود بها إلىٰ مخرج (الراء) إلىٰ طرف اللسان وأصول الثنايا.

وفي هذا المثال نجد ثلاثة اتجاهات لـ(شهبر)، في حين أن (شهرب) تتم في اتجاهين فقط، ولا شك أن في ذلك توفيرا للجهد المبذول وتيسيرا لعملية النطق، ووضح الباحث ذلك برسوم توضيحيه تدلل علىٰ رأيه، وساق أمثلة أخرىٰ، نحو: (صعبور، وصعروب)، فالصورة الألىٰ قبل القلب لها ثلاثة اتجاهات، أما الصورة الثانية فلها اتجاهان.

وقد يتساوى عدد الاتجاهات في آلية النطق في صورتي الكلمة، وكذلك طول المسافة، ولكن القلب يجعل آلية النطق أيسر في الصورة المقلوبة، نحو (اضمحل، وامضحل)؛ فالصورة الثانية أيسر لأنها أكثر تنظيما، أما الأولىٰ ففيها ما يشبه التقاطعات في اتجاهات آلية النطق(١).

(١) للمزيد انظر القلب المكاني، د/ محمد العمري، مجلة جامعة أم القرىٰ، ص١٣٦.

والأمر الأخير يتعلق بسر من أسرار الفصاحة عند القدماء وهو تباعد مخارج حروف الكلمة، فكلما تباعدت المخارج فيها كان نطقها أيسر وأسهل مما لو كانت مخارج حروفها متقاربة ومتزاحمة(١)، يقول الدكتور أحمد مختار عمر: "وقد يقع القلب بغية التيسير وتحقيق نوع من الانسجام الصوتي كما في (طمس) التي قلبت إلىٰ (طسم) حتىٰ لا يفصل بين الطاء والسين بالميم (وهما متقاربا المخرج)"(٢)، ومن ثم يحدث القلب في بعض الكلمات التي يتجاور فيها صوتان أو أكثر في المخرج، حيث يعاف الذوق اللغوي للإنسان العربي النطق بالحروف متقاربة المخارج والصفات، ومن ثم قد يتخلص من ذلك بالقلب المكاني، فيفصل بين تلك الحروف المتقاربة بحروف أخرىٰ من الكلمة ولكنها من مخرج آخر وصفات أخرىٰ، ومن

(١) يعاف الذوق اللغوي العربي النطق بالحروف المتقاربة المخارج والصفات، بل نجد أن بعض الأصوات لا تتجاور في بنية الكلمة العربية، فـ(التاء) لا تقع بعد (الزاي) مباشرة، أو بعد (الدال) إلا إذا كانت ضميرا أو تاء تأنيث، كما لا تجتمع الحروف (الصاد، والقاف، والكاف) مع (الجيم) في كلمة عربية، وكذلك الحال في تعاقب (اللام والراء)، فلا يوجد في العربية كلمة فيها راء قبلها لام، فإذا وجدت تكون الكلمة دخيلة أو معرّبة، ولذلك يعد تقارب مخارج حروف الكلمة الواحدة منافيا لفصاحتها (انظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي ١/ ٥١٣- ٥١٤. وللمزيد انظر: المعجم العربي، دراسة لتنافر الحروف في جذور العربية، محمد حسّان الطيّان، دار المقتبس، بيروت، ٢٠١٨م. وموسيقىٰ الشعر، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط٥، ص٣٠.

(٢) دراسة الصوت اللغوي، د/ أحمد مختار عمر، ص٣٣٦.

الأمثلة التي ذكرت في ذلك: (أغرل، وأرغل)، حيث فصل بين (اللام، والراء) بحرف (الغين)، و(احتدم، واحتمد)، حيث فصل بين (التاء والدال) بحرف (الميم)، و(طرح، وطحر)، حيث فصل بين (الطاء والراء) بحرف (الحاء)(١).

ومن ذلك أننا نجد في (نغز) المقلوب عن (نزغَ) أن (الغين) تقدمت علىٰ (الزاي)؛ ليفصل بين صوتي: (النون اللثوي، والزاي الأسناني اللثوي) المتقاربين في المخرج وصفة الجهر، بصوت (الغين الحلقي) الأبعد في المخرج عنهما، فكلما تباعدت المخارج في حروف بنية الكلمة خفت في النطق(٢).

وفي هذا السياق يمكن تفسير حدوث القلب المكاني في كلمة (هتلر)؛ حيث ينطقها بعض العامة وكثير من الأطفال (هلتر)؛ وذلك بسبب تعاقب (اللام والراء) في الكلمة، فلا يوجد في العربية كلمة فيها (راء) قبلها (لام)، فإذا وجدت تكون الكلمة دخيلة أو معرّبة مثل كلمة (ليرة) وهي اسم لعملة أجنبية. أما في الكلمات مثل الرسول والرياح وغيرها فهي لا تعتبر كلمة واحدة وإنما كلمتان (ال: وهي كلمة تعريف وتحديد وعموم) و(رسول) و(ال) و(رياح). أما اللام فيسبقها الراء في الكلمات العربية مثل رحيل،

(١) للمزيد انظر القلب المكاني، د/ محمد العمري، مجلة جامعة أم القرىٰ، ص١٣٧– ١٣٨.

(٢) القلب المكاني في صوامت صيغ العربية، د/ محمد يحي سالم، ص٢٠٦.

رعيل، رسول(١). أما تعاقب الحرفين اللام والراء في كلمتين فيوجب الإدغام لتقارب الحرفين في رأي الخليل وسيبويه وتابعهما ابن الجزري، وذلك في نحو قوله تعالىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [سورة طه: ١١٤]، حيث تدغم اللام في الراء، وننطق براء واحدة مشددة في قراءة حفص.

وتفسير ذلك كله يمكن إرجاعه إلى أن صوتي اللام والراء يخرجان من مكان واحد تقريبا؛ فاللام: صوت لثوي جانبي مجهور منفتح، يتمّ نطقه بأن يتصل طرف اللسان باللثة، ويرتفع فَيُسَدُّ المجرىٰ الأنفي عن طريق اتصاله بالجدار الخلفي للحلق مع حدوث ذبذبة في الوترين الصوتيين(٢).

بينما يتكون صوت الراء بأن تتوالىٰ ضربات اللسان تواليا وتتابعا سريعا علىٰ اللثة، وذلك بأن يكون طرف اللسان ملامسا للثنايا العليا، فيضغط من الأمام بالمجرىٰ الهوائي، وبفضل مرونة هذا العضو يرجع اللسان إلىٰ وضعه الأول، وتتكرر الحركة نفسها أربع أو خمس مرّات متتالية بالنسبة إلىٰ الراء القويّة، ويرافق نطق الصامت المكرّر ذبذبة في الأوتار الصوتية، فهو صوت صامت مجهور لثوي مكرّر(٣).

(١) انظر كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي ١/ ٥١٣- ٥١٤.

(٢) انظر إبدال الحروف في اللهجات العربية، سليمان السحيمي، مكتبة الغرباء الأثرية، السعودية، ١٩٩٥م، ص٣١٢.

(٣) انظر الألسنية الفروع والمبادئ والمصطلحات، هيام كريدية، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٨م، ص١٤٠.

ونظرا لما سبق مال المتكلم إلىٰ الفصل بين صوتي اللام والراء في (هتلر) بصوت التاء، ولعل ما سبب هذا الخلط بين حروف الكلمة هو أن صوت التاء قريب أيضا من مخرجي اللام والراء.

وذكر أحد الباحثين أمثلة للقلب في العامية التلمسانية؛ نحو (ينعل في يلعن)، و(السمش في الشمس)، و(الزناجة في الجنازة)، وأشار إلىٰ أنه "يمكن أن يكون الهدف من القلب هو إراحة جهاز النطق، وذلك بعمل اللسان في اتجاه واحد، فمثلا في كلمة (يقبض) التي بمعنىٰ يمسك، حدث قلب بين (الضاد والباء) فيقولون (يقضب)، فلما كانت الضاد رخوة من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا، وكانت الباء شفهية وهي من مخرج بعد مخرج الضاد استساغوا تقديم الضاد علىٰ الباء"(١).

ثانيا: صفات الحروف ومدى قوتها أو ضعفها:

فالصفات المتقاربة والمتشابهة لأصوات الحروف قد تتآلف وتتقارب، أما في حال تفاوتها من حيث القوة والضعف فإن الصفات القوية تسيطر وتتميز علىٰ الصفات الضعيفة، وبيان ذلك فيما يلي:

في (**جبذ**) تقدمت الباء علىٰ الذال لتكون قريبة من صوت الجيم المماثل لها في صفتي الجهر والشدة (الانفجار)؛ ليكون عمل اللسان من وجه واحد من جهة الصفات(٢).

أما في (**صواقع**) المقلوب عن(صواعق) فإن القاف تقدّمَ علىٰ العين تحت تأثير الصاد المطبق المفخم، ليعمل اللسان في التفخيم من وجه واحد.

---

(١) العادات الكلامية في العاميات التلمسانية، سمية جلايلي، مجلة معارف، جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة، الجزائر، العدد ٢١، ٢٠١٦م، ص١١٧.

(٢) القلب المكاني في صوامت صيغ العربية، د/ محمد يحي سالم، ص٢٠٥.

وفي (أ طب) المقلوب عن (أطيب) ثقل علىٰ الناطق الجمع بين صوتين شديدين (انفجاريين) هما الهمزة والطاء، ففصل بينهما في الصيغة المقلوبة بحرف لين يسير في النطق هو(الياء).

ومن زاوية أخرىٰ يمكن تعليل حدوث القلب المكاني في بعض الكلمات اعتماداً علىٰ فكرة الصوت الأقوىٰ التي قال بها علماء العربية، ومضمونها أنه إذا اجتمعت أصوات متقاربة المخرج في بنية كلمة ما، فانه يقدم الصوت الأقوىٰ الأثقل في النطق منها علىٰ الأضعف الأخف؛ ليتحقق التوازن والتيسير في الكلام(١)، ومن الأمثلة علىٰ ذلك:

(أيس) **المقلوبة عن** (يئس): يفضل المتكلم تقديم الهمزة في (أيس) علىٰ الياء لقوة (الهمزة) في النطق وثقلها مقارنة (بالياء) الخفيفة في النطق، لأن المتكلم في بدء كلامه يكون أكثر نشاطًا وأقوىٰ نفسًا.

(جاه) **المقلوبة عن** (وجه): وفيها – كذلك – يفضل المتكلم تقديم (الجيم) القوية بالجهر والشدة علىٰ حرف العلة (عين الكلمة) الضعيف بالاعلال والتغيير والخفاء(٢).

وفي (طفس) **المقلوبة عن** (فطس) تقدمت (الطاء) القوية بالجهر والشدة والاستعلاء والاطباق والتفخيم علىٰ (الفاء) الأضعف بالهمس والرخاوة.

(١) مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية، محمد يحيىٰ سالم الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م، ص٤٣. وأكثر من عنىٰ بهذه الفكرة من علماء العرب ابن جني انظر: الخصائص ١/ ٥٥

(٢) القلب المكاني في صوامت صيغ العربية، د/ محمد يحي سالم، ص٢٠٧.

المبحث الثالث:

القلب المكاني والمقاطع الصوتية للكلمة:

أهل التخصص يعلمون أن المقطع هو أصغر وحدة صوتية يمكن النطق بها، ويستطيع المتكلم أن ينتقل منها إلىٰ غيرها من أجزاء الكلمة(١)، حيث يحتاج الباحث إلىٰ تقسيم الكلام المتصل إلىٰ مقاطع صوتية، عليها تبنىٰ – في بعض الأحيان– الأوزان الشعرية، وبها يعرف نسج الكلام في لغة من اللغات(٢).

والمقطع الصوتي **Syllable** إما متحرك وإما ساكن؛ المقطع المتحرك هو الذي ينتهي بصوت لين قصير أو طويل، أما المقطع الساكن فهو الذي ينتهي بصوت ساكن، فالفعل الماضي الثلاثي (فتح) ينتهي بثلاثة مقاطع متحركة، في حين أن مصدر هذا الفعل (فَتْحٌ) يتكون من مقطعين ساكنين(٣). والمقاطع في اللغة العربية(٤):

- ☒ قصير: صوت ساكن+ صوت لين قصير(ص+ح)، نحو: جِ.
- ☒ متوسط مفتوح: صوت ساكن+ صوت لين طويل(ص+ح ح)،

---

(١) انظر: أصوات اللغة العربية، عبد الغفار حامد هلال، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٩٩٦م، ص١٩٩. وللمزيد انظر: علم الأصوات العربية، محمد جواد النوري، منشورات جامعة القدس المفتوحة، الأردن، ٢٠٠٧م، ص٢٣٤.

(٢) انظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، القاهرة، ١٩٥٠م، ص٩٢.

(٣) السابق نفسه ص٩٣.

(٤) انظر: السابق نفسه ص٩٧. وعلم الأصوات العربية، محمد جواد النوري، ص٢٣٩.

نحو: جي.

☒ متوسط مغلق: ساكن+ صوت لين قصير+ ساكن (ص+ح+ص)، نحو: منْ.

☒ طويل مغلق: ساكن+ صوت لين طويل+ ساكن (ص+ح ح+ص)، نحو: مال.

☒ قصير طويل مزدوج الإغلاق: صوت ساكن+ صوت لين قصير+ صوتان ساكنان (ص+ح+ص+ص)، نحو: بنتْ.

☒ بالغ الطول مزدوج الإغلاق: صوت ساكن+ صوت لين طويل+ صوتان ساكنان (ص+ح ح+ص+ص)، نحو: رادّ.

وقد أهمل كثير من اللغويين النوع الأخير من المقاطع (ص+ح ح+ص+ص)(١)، أما المقاطع الثلاثة الأولىٰ فتعد من أكثر المقاطع شيوعا واستعمالا في الكلام العربي(٢).

وثبات مقاطع الكلمة قبل القلب وبعده يساعد علىٰ عدم الشعور بالفرق الكبير بين البنيتين صوتيًا؛ فعندما تكون المقاطع الصوتية واحدة يكون التناغم الصوتي في الكلمتين - الأصلية والمقلوبة- واحدا، ولذلك لا يشعر المتكلم بفارق صوتي كبير بينهما، ومن ثم فإن ثبات المقاطع الصوتية

(١) مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ١٩٥٥م، ص١٤٠.

(٢) دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٦م، ٢٥٧.

للكلمة قبل القلب وبعده من الأمور التي تساعد علىٰ القلب وتزيد من مشروعيته، والأمثلة علىٰ ذلك كثيرة، نفصل منها ما يلي:

☒ مقاطع كلمة (مسرح) هي نفسها مقاطع (مرسح) المقلوبة عنها؛ لأن كليهما يتكون من مقطعين ساكنين من نوع (المتوسط المغلق)، وهو يتكون – كما ذكرنا من قبل– من (ص+ح+ص)، فالمقطع (مَسْ) يقابل المقطع (مَرْ)، والمقطع (رَحْ) يقابل المقطع (سَحْ).

☒ وقس علىٰ ذلك كلمة (أرانب) التي تتكون من ثلاثة مقاطع: الأول مقطع قصير (أَ) (ص+ح)، والثاني مقطع متوسط مفتوح (را) (ص+ح ح)، والثالث مقطع متوسط مغلق (نِبْ) (ص+ح+ص)، وهذه المقاطع هي نفسها مقاطع (أنارب)؛ مقطع قصير (أَ)، ومقطع متوسط مفتوح (نا)، ومقطع متوسط مغلق (رِبْ).

☒ وقس علىٰ ذلك من الكلمات (صواعق وصواقع)، (جذب وجبذ)، (معلقة وملعقة)، (زواج وجواز)، (أهبل وأبله)، (أنوق وأينق)... إلخ.

وحقيقة الأمر أن هذا الأمر يسري علىٰ جميع الكلمات المقلوبة؛ فالمقاطع الصوتية للكلمة قبل القلب هي ذاتها بعد القلب، مما يوفر انسجاما صوتيا يمهد للقلب، ويجعل المتكلم لا يشعر بفارق صوتي كبير بين الكلمة الأصلية والمقلوبة عنها، فالحركات والسكنات واحدة تقريبا في كلا اللفظين مع اختلاف مخارج الحروف.

المبحث الرابع

القلب المكاني ونسب شيوع السلاسل الصوتية في اللغة

وبالإضافة إلىٰ ما سبق فإن الدراسات الحديثة تتجه – في تفسير هذه الظاهرة– إلىٰ إحصاء نسبة شيوع الأصوات في اللغة، وذلك باستخدام الكمبيوتر(١)، "وربما يكون ذلك أوضح في اللغات السامية ومنها اللغة العربية؛ لأنها تعتمد في كلماتها علىٰ الجذور الأصلية"(٢).

وتقوم هذه النظرية علىٰ أن الإنسان يختزن في مخه محصولا لغويا ضخما، مرتبا وفق سلاسل صوتية، وهذه السلاسل تختلف في نسبة شيوعها في الكلام، فمنها الكثير الشيوع، ومنها المتوسط، ومنها النادر، وأن السلاسل الصوتية الأكثر شيوعا من الناحية الإحصائية هي أكثر السلاسل ورودا في الأذهان، وأسرع في الاستجابة عند الحاجة(٣)، "فالمرء يكتسب في سني حياته محصولا لغويا ضخما، يختزنه مرتبا في مخه ترتيبا خاصا يعين علىٰ تذكره وتداعي بعضه مع بعض... كلما خطرت في الشعور أو جرت في الاستعمال... فإذا سمع السامع، أو نطق الناطق بسلسلة من تلك السلاسل الصوتية القليلة الشيوع تداعت لها مسرعة سلسلة أخرىٰ أشبه بها أو أقرب

(١) التطور اللغوي وقانون السهولة والتيسير، د/ رمضان عبدالتواب، مجلة المجمع، ٣٦/ ٢٠٢.

(٢) مسطرة اللغوي، د/ إبراهيم أنيس، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٧٢م، ٢٩/ ١٠.

(٣) انظر القلب المكاني في الموروث اللغوي، د. أحمد مطر العطية، مجلة علوم اللغة، المجلد٢، ١٩٩٩م، ص٢٠٦.

إليها، وهي في نفس الوقت أكثر منها شيوعا وترددا في الكلام، فكأنما كانت تطفو علىٰ سطح الشعور... فحلول سلسلة صوتية محل أخرىٰ– وهذا هو القلب المكاني– سره الحقيقي أن السلسلة الجديدة الطارئة أكثر شيوعا ودورانا في الكلام من الأخرىٰ"(١).

ومن الأمثلة علىٰ ذلك (جذب، وجبذ)؛ حيث أيدّت الدراسة الحديثة صحة نظرية السلاسل الصوتية الأكثر شيوعا باستعمال الحاسوب في التحليل الإحصائي لسلاسل الكلمة؛ "إذ ظهرَ أن السلسلة الصوتية (ج ذ) من الكلمة (جذب) لها نسبة شيوع (ثماني مرات)، والسلسلة (ذ ب) في الآخر (خمس مرات)، في حين أن شيوع السلسلة (ج ب) (إحدي عشرة مرة)، وشيوع السلسلة (ب ذ) في الآخر (تسع مرات)، وهذا يدل علىٰ أن السلسلة (ج ب) أخف في النطق من السلسلة (ج ذ)"(٢).

"وخذ مثلا آخر الفعل (يئس) مع مقلوبه (أيس)؛ حيث نجد في التفسير الصوتي لهذا القلب هو أننا نجد في الإحصاءات التي استخدم في استخراجها جهاز الكمبيوتر–... أن الجذر الثلاثي الذي يبدأ (بالياء وبعدها الهمزة) أقل شيوعا من الذي يبدأ (بالهمزة وبعدها الياء)، فبينما يرد الأول في إحصاءاتنا (مرة واحدة) فقط، يرد الثاني (عشر مرات).

(١) مسطرة اللغوي، د/ إبراهيم أنيس، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٧٢م، ٢٩/ ١٠– ١١.

(٢)انظر القلب المكاني في صوامت صيغ العربية، د/ محمد يحي سالم، ص٢٠٥– ٢٠٦.

وكذلك نجد الجذر الثلاثي الذي ينتهي (بالهمزة وبعدها السين) أقل شيوعا من الذي ينتهي (بالياء وبعدها السين)، فبينما يرد الأول في إحصاءاتنا (مرتين) فقط، يرد الآخر (ثماني مرات).

وأخيرا نجد أن المادة الثلاثية التي تبدأ (بالياء وتنتهي بالسين) أقل شيوعا من تلك التي تبدأ (بالهمزة وتنتهي بالسين)، فبينما ترد الأولىٰ في إحصاءاتنا (سبع مرات)، ترد الأخرىٰ (خمس عشرة مرة).

وهكذا نرىٰ أن الذي سوغ القلب في الفعل (يئس) هو أن نسبة شيوع السلسلة الصوتية (أيس) في الكلام العربي أكثر كثيرا من نسبة شيوع السلسلة الأخرىٰ"(١).

وكذلك الأمر في كلمة (ملك)؛ حيث استعان د. إبراهيم أنيس بهذه النظرية لتأكيد أن أصلها من (لأك) لا من (ألك) كما ذهب بعض النحويين(٢).

كما راجع د. إبراهيم أنيس إحصاءات الحاسب الإلكترونىٰ لجذور اللغة العربية، ليقف علىٰ مدىٰ شيوع بعض السلاسل الصوتية لبعض الكلمات، ومن ثم طرح سؤالاً: ما هو السر في هذه الجموع؟ (٣).

---

(١) مسطرة اللغوي، د/ إبراهيم أنيس، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٧٢م، ١٢/٢٩.

(٢) ملك، ملاك، ملائك، ملائكة، د/ إبراهيم أنيس، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٧٣م، ١٢/٣١.

(٣) ما هو السر في هذه الجموع؟ د/ إبراهيم أنيس، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٧٤م، ٧/٣٤.

يقول: تروىٰ لنا المعاجم العربية جموعًا عجيبة للمفردات: رأس، رئم، بئر، رأىٰ، مؤق، سـؤر، هىٰ علىٰ الترتيب: آراس، آرام، آبار، آراء، آماق، آسار.

وقد كنا ندهش لهذه الجموع التي قيل لنا إن ظاهرة القلب المكاني قد لحقتها، وإنها في الأصـل: أرآس، أرآم، أبآر، أرآء، أمآق، أسـآر، ثم تقنع كتب الصـرف بذلك، ولا تكاد تفسـر لنا لماذا وقع القلب في هذه الأمثلة بالذات؟... وقد تبين لنا في هذه الدراسة أن السرّ في وقوع القلب المكانىٰ في تلك الأمثلة السـتة هو اختلاف نسـبة الشـيوع بين السـلاسـل الصـوتية التىٰ تتألف منها تلك الجموع، فحين كانت نسـبة شـيوع الحرفين المتواليين في الصورة الأصلية قليلة، ولكنها في الصورة الفرعية كثيرة، علىٰ حسب ما جاء في إحصاءات اللغة العربية، لوحظ أن القلب المكانىٰ قد يحدث(١).

وفي ظل هذه الظرية استبدل د. إبراهيم أنيس (سبْقَ اللسان) بـ (زلة اللسان أو تعثر اللسـان) التي ذهب إليها بعض العلماء في تفسـير القلب المكاني كما أشرنا من قبل؛ وذلك لأن ما يحدث من قلب ليس مرضا عضويا في كثير من حالاته، فهو "ليس إلا صدىٰ لسبق التذكر الذي مرجعه أن بعض السلاسل الصوتية في حافظتنا أسرع استجابة للخاطر من غيرها"(٢).

(١) للمزيد انظر السابق نفسه.

(٢) مسطرة اللغوي، د/ إبراهيم أنيس، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٧٢م، ٢٩/ ١١.

الخاتمة

ظاهرة القلب المكاني من الظواهر المميزة في كتب التراث؛ حيث اعتنىٰ بذكرها كثير من العلماء الأوائل، فقاموا بالتمثيل لها بالعديد من الألفاظ التي تجري علىٰ ألسنة الناس، كما اهتم بها الباحثون المحدثون، فقاموا بإعداد دراسات مستقلة في أمرها، وهذا البحث يهتم ببحث الجانب الصوتي لهذه الظاهرة ويختص به، واستطاع التوصل إلىٰ النتائج التالية:

- القلب المكاني ظاهرة لغوية عامة؛ فهي ليست وقفا علىٰ اللغة العربية وحدها، بل عرفت في اللغات الأخرىٰ.
- القلب المكاني ظاهرة صوتية في المقام الأول؛ لأنها تقوم علىٰ تبادل الأصوات في الكلمة الواحدة، وهذا التبادل لا ينتج عنه تغير في المعنىٰ، ومن ثم فإن الأولىٰ بدراستها أن تكون صوتية لا صرفية، وهو ما أنجزه هذا البحث.
- ومن الأسباب الأساسية في حدوث ظاهرة القلب المكاني ميل المتكلم إلىٰ التقليل من الجهد العضلي المبذول أثناء عملية النطق بالكلمة، بهدف تحقيق الخفة والسهولة في النطق، والتخلص من الثقل.
- أمثلة القلب المكاني التي أرجعها العلماء إلىٰ الخطأ في النطق والتوهم لا نعدم فيها علة التخفيف والتيسير؛ وذلك لأن التعثر في النطق هو – في حقيقته– تجنب للصعب وميل إلىٰ السهل، أو قل: إن آلة النطق كيفت الألفاظ تبعا لإمكانياتها وقدراتها، فاستعاضت عن الصعب باليسير.
- من أمثلة القلب المكاني التي عللها العلماء بالميل إلىٰ السهولة والتيسير ما ذكره برجشتراسر في صيغة (افتعل) من أنها مقلوب (اتفعل)؛ فسبب

القلب في نحو (اتسند واتشد) مجاورة (التاء) الانفجارية لأصوات الصفير (السين والشين)، وتتابع الانفجاري والصفيري مستثقل في العربية، ومن ثم جرىٰ هذا القلب علىٰ باقي الأفعال التي من البنية نفسها.

• تلعب مخارج الحروف – في بعض الكلمات– دورا كبيرا في استساغة عملية القلب المكاني لبعض حروفها؛ فتقارب المخارج أو تباعدها لها أثرها الكبير علىٰ المتكلم عند النطق ببعض الكلمات التي حدث فيها القلب.

• يحدث القلب المكاني لتقصير المسافات، ويعني بذلك أن القلب قد أدىٰ إلىٰ جعل آلية نطق أصوات الكلمة تسير في اتجاه واحد.

• يحدث القلب المكاني لتقليل عدد اتجاهات آلية النطق؛ حيث يوجد أكثر من اتجاه في آلية النطق لبعض الكلمات، ومن ثم يقوم الجهاز النطقي بتقليل عدد هذه الاتجاهات، وفي هذا مرونة وقلة مجهود بالنسبة للنطق.

• كلما تباعدت المخارج في حروف الكلمة كان نطقها أيسر وأسهل مما لو كانت مخارج حروفها متقاربة ومتزاحمة، ومن ثم يحدث القلب في بعض الكلمات التي يتجاور فيها صوتان أو أكثر في المخرج، حيث يعاف الذوق اللغوي للإنسان العربي النطق بالحروف متقاربة المخارج والصفات، ومن ثم قد يتخلص من ذلك بالقلب المكاني، فيفصل بين تلك الحروف المتقاربة بحروف أخرىٰ من الكلمة ولكنها من مخرج آخر وصفات أخرىٰ.

• الصفات المتقاربة والمتشابهة لأصوات الحروف قد تتآلف وتتقارب، أما في حال تفاوتها من حيث القوة والضعف فإن الصفات القوية تسيطر وتتميز علىٰ الصفات الضعيفة فيحدث القلب المكاني؛ فإذا اجتمعت

أصـوات متقاربة المخرج في بنية كلمة ما، فانه يقدم الصـوت الأقوىٰ الأثقل في النطق منها علىٰ الأضعف الأخف؛ ليتحقق التوازن في الكلام.

• ثبات مقاطع الكلمة قبل القلب وبعده يساعد علىٰ عدم الشعور بالفرق الكبير بين البنيتين صـوتيًا؛ فعندما تكون المقاطع الصـوتية واحدة يكون التناغم الصوتي في الكلمتين - الأصلية والمقلوبة- واحدا، ولذلك لا يشعر المتكلم بفارق صـوتي كبير بينهما، ومن ثم فإن ثبات المقاطع الصـوتية للكلمة قبل القلب وبعده من الأمور التي تسـاعد علىٰ القلب وتزيد من مشروعيته. وحقيقة الأمر أن هذا الأمر يسري علىٰ جميع الكلمات المقلوبة؛ فالمقاطع الصـوتية للكلمة قبل القلب هي ذاتها بعد القلب، مما يوفر انسجاما صوتيا يمهد للقلب، ويجعل المتكلم لا يشعر بفارق صوتي كبير بين الكلمة الأصلية والمقلوبة عنها، فالحركات والسكنات واحدة تقريبا في كلا اللفظين مع اختلاف مخارج الحروف.

•تتجه الدراسات الحديثة- في تفسير ظاهرة القلب المكاني- إلىٰ إحصاء نسبة شيوع الأصوات في اللغة، وذلك باستخدام الكمبيوتر؛ فالإنسان يختزن في مخه محصولا لغويا ضخما مرتبا وفق سلاسل صوتية، وهذه السلاسل تختلف في نسبة شيوعها في الكلام، فمنها الكثير الشيوع، ومنها المتوسط، ومنها النادر، وأن السلاسل الصوتية الأكثر شيوعا من الناحية الإحصائية هي أكثر السلاسل ورودا في الأذهان، وأسرع في الاستجابة عند الحاجة.

المصادر والمراجع

أولا: الكتب والمجلدات:

١. أبحاث في اللغة، داوود عبده، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٣م.

٢. إبدال الحروف في اللهجات العربية، سليمان السحيمي، مكتبة الغرباء الأثرية، السعودية، ١٩٩٥م.

٣. أدب الكاتب، ابن قتيبة، ت: علي فاعور، وزارة الشئون الإسلامية، السعودية، ١٩٨٧م.

٤. ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان، ت: رجب عثمان محمد، مطبعة المدني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨م.

٥. الاشتقاق والتعريب، عبد القادر المغربي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٧م.

٦. الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، القاهرة، ١٩٥٠م.

٧. أصوات اللغة العربية، عبد الغفار حامد هلال، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٩٩٦م.

٨. الأصول في النحو، ابن السراج، ت: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٩م.

٩. الألسنية– الفروع والمبادئ والمصطلحات، هيام كريدية، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٨م.

١٠. التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، الطيب البكوش، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس، ط٢، ١٩٨٧م.

١١. التطبيق الصرفي، د/ عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٨م.

١٢. التطور اللغوي التاريخي، إبراهيم السامرائي، دار الأندلس، ط٢، ١٤٠١هـ.

١٣. التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، د/ رمضان عبد التواب، دار الرافعي، الرياض، ١٩٨١م.

١٤. التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر، ت: د/ رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م.

١٥. الجاسوس علىٰ القاموس، أحمد فارس الشدياق، مطبعة الجوانب، القسطنطينية، ١٢٩٩هـ.

١٦. جمهرة اللغة، ابن دريد، ت: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.

١٧. الخصائص، ابن جني، ت: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، د. ت.

١٨. دراسات في علم أصوات العربية، داود عبده، دار جرير للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م.

١٩. دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٧٠م.

٢٠. الدراسات اللغوية عند العرب، محمد حسين آل ياسين، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت.

٢١. دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٦م.

٢٢. ديوان رؤبة بن العجاج، ت: وليم ابن الورد البروسي، دار ابن قتيبة، الكويت، د. ت.

٢٣. ديوان النابغة الجعدي، ت: واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.
٢٤. سر صناعة الإعراب، ابن جني، ت: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ١٩٨٥م.
٢٥. شرح الأشموني علىٰ ألفية ابن مالك، الأشموني، تحقيق طه عبد الرءوف، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د. ت.
٢٦. شرح شافية ابن الحاجب، الرضي الإستراباذي، ت: محمد نور الحسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م.
٢٧. الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس، ت: السيد أحمد صقر، مطبعة عيسىٰ البابىٰ الحلبىٰ، القاهرة، ١٩٧٧م.
٢٨. الصرف وعلم الأصوات، د/ ديزره سقال، دار الصداقة العربية، بيروت، ١٩٩٦م.
٢٩. ظاهرة القلب المكاني في العربية، عللها وأدلتها وتفسيراتها وأنواعها، عبد الفتاح الحموز، مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار عمار، عمان، ١٩٨٦م.
٣٠. العربية الفصحىٰ، هنري فليش، ت: د. عبد الصبور شاهين، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، د. ت.
٣١. علم الأصوات، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م.
٣٢. علم الأصوات العربية، محمد جواد النوري، منشورات جامعة القدس المفتوحة، الأردن، ٢٠٠٧م.
٣٣. العين، الخليل بن أحمد، ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.
٣٤. الغريب المصنف، أبو عبيد القاسم بن سلام، ت: د/ محمد المختار العبيدي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، ودار سحنون للنشر

والتوزيع، ط٢، ١٩٩٦م.
٣٥. فقه اللغات السامية، كارل بروكلمان، ترجمة د/ رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض، ١٩٧٧م.
٣٦. الكتاب، سيبويه، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠٤م.
٣٧. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، ت: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦م.
٣٨. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٤م.
٣٩. اللباب في علل البناء والإعراب، العكبري، ت: غازي طليمات، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥م.
٤٠. اللغة، فندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ١٩٥٠م.
٤١. اللغة العبرية- تطبيقات في المنهج المقارن، د. محمد صالح توفيق، دار الهاني للطباعة والنشر، د. ت.
٤٢. اللهجات العربية، إبراهيم محمد نجا، مطابع سجل العرب، د. ت.
٤٣. اللهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، تونس، د. ت.
٤٤. المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، مكي درار، دار الأديب للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٤م.
٤٥. المخصص، ابن سيده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأميرية، د. ت.
٤٦. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، ت: محمد أحمد جاد المولى وآخرين، مكتبة التراث، القاهرة، ط٣، د. ت.

٤٧. المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، عبد العزيز الصبغ، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨م.

٤٨. المعجم العربي، دراسة لتنافر الحروف في جذور العربية، محمد حسّان الطيّان، دار المقتبس، بيروت، ٢٠١٨م.

٤٩. مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية، محمد يحيىٰ سالم الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م.

٥٠. المقتضب، المبرد، ت: د/ محمد عبدالخالق عضيمة، المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٤م.

٥١. الممتع في التصريف، ابن عصفور، ت: فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، ١٩٧٠م.

٥٢. مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ١٩٥٥م.

٥٣. المنصف، ابن جني، ت: إبراهيم مصطفي وعبد الله أمين، مصطفي البابي الحلبي، ١٩٥٤م.

٥٤. من وظائف الصوت اللغوي، د/ أحمد كشك، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٥٥. موسيقىٰ الشعر، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط٥، د. ت.

٥٦. نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها، الأب أنستاس الكرملي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت.

ثانيا: الأبحاث والمقالات:

١. التطور اللغوي وقانون السهولة والتيسير، رمضان عبدالتواب، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد، ١٩٧٥م.

٢. ظاهرة القلب المكاني في العربية، محمد البدوي المختون، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد١١، ١٩٨١م.
٣. العادات الكلامية في العاميات التلمسانية، سمية جلايلي، مجلة معارف، جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة، الجزائر، العدد ٢١، ٢٠١٦م.
٤. القلب المكاني، محمد العمري، مجلة جامعة أم القرىٰ، العدد الثامن، ١٩٩٣م.
٥. القلب المكاني في البنية العربية- دراسة تحليلية في ضوء التراث النحوي والدرس اللغوي الحديث، مأمون عبد الحليم وجيه، مجلة كلية دار العلوم، جامعة الفيوم، العدد٢٤، ديسمبر ٢٠١٠م.
٦. القلب المكاني في صوامت صيغ العربية، محمد يحي سالم، مجلة الجامعة الإسلامية العراقية، العدد١٦، ٢٠٠٥م.
٧. القلب المكاني في ضوء علم اللغة الحديث- دراسة تطبيقية في كتاب سبل الهدىٰ والرشاد في سيرة خير العباد للصالحي الشامي ت٩٤٢هـ، محمد مبارك الشاذلي، حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا، جامعة الأزهر، العدد١٨، الجزء السادس، ٢٠١٤م.
٨. القلب المكاني في اللغة العربية، حسين محمد شرف، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء ٤٢، ١٩٧٨م.
٩. القلب المكاني في الموروث اللغوي، د. أحمد مطر العطية، مجلة علوم اللغة، دار غريب، القاهرة، العدد١، المجلد٢، ١٩٩٩م.
١٠. ما هو السر في هذه الجموع؟ د/ إبراهيم أنيس، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء ٣٤، ١٩٧٤م.

١١. مسطرة اللغوي، د/ إبراهيم أنيس، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء ٢٩، ١٩٧٢م.

١٢. ملك، ملاك، ملائك، ملائكة، د/ إبراهيم أنيس، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء ٣١، ١٩٧٣م.

ثالثا: المراجع الأجنبية:

1. An Introduction to Comparative Grammar of the Semitic languages: Phonology and morphology، Moscati، Sabatino and others، Germany Otto Harrassowitz، 3rd edition. 1980.
2. Basics of biblical Hebrew Grammar، Pratico، Gary and Van Pelt، Miles، Michigan، Zondervan، 2nd edition، 2007.
3. Longman dictionary of language teaching & applied linguistics، Richards، J. and Schmidt، R. 2002.
4. Phonology، Lass، Roger، Cambridge University Press، 1984.
5. =The Oxford English Dictionary ،Simpson ،John Andrew ،Oxford University Press ،،1st Edition 1970 .
6. The Study of Language ،Yule، George، Cambridge University Press، 3rd edition، 2006.